﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾

أنوار حسنية في الدعاء

بقلم:
الأستاذ حسن علي كاظم

أنوار حسنية

في

الدعاء

بقلم الأستاذ حسن علي كاظم

الفهرس

توطئة.....4
الدعاء من خصائص الإمامة: 6
الإمام الحسن نموذج للإمامة في الدعاء:.....7
قراءة تحليلية في نماذج من أدعية الحسن (عليه السلام): 9
أدعية الامام الحسن عليه السلام.....12
دعاؤه عليه السلام في التسبيح لله سبحانه في اليوم الرابع من الشهر 12
دعاؤه عليه السلام في المناجاة.....13
الشرح: 13
المعنى.....13
التعليق: 14
دعاؤه عليه السلام لطلب المغفرة 15
التعليق: 15
دعاؤه عليه السلام لطلب المغفرة وإنجاح المطالب.....15
التعليق: 16
دعاؤه عليه السلام لطلب مكارم الاخلاق 17
التعليق: 17
دعاؤه عليه السلام لطلب النصر واليقين من الله.....18
التعليق: 18
دعاؤه عليه السلام في قنوت الوتر.....19
التعليق: 19
دعاؤه عليه السلام في القنوت.....20
التعليق: 20
في القنوت.....22
التعليق: 22
دعاؤه عليه السلام في الاستسقاء 23
التعليق: 23
دعاؤه عليه السلام عند باب المسجد 24
دعاؤه عليه السلام في الاحتجاب 25
دعاؤه عليه السلام في الاحتراز.....27
دعاؤه عليه السلام إذا أحزنه أمر.....28
دعاؤه عليه السلام في دفع كيد الأعداء ورد بأسهم 29
دعاؤه عليه السلام على أعدائه.....30
دعاؤه عليه السلام لدفع كيد العدو (لما أتى معاوية) 32

دعاؤه عليه السلام على زياد بن أبيه.....33
ما الذي نتعلمه من روح هذا الدعاء؟.....33
دعاؤه عليه السلام لدفع شر الجار.....34
دعاؤه عليه السلام في العوذة لوجع الرجل.....36
دعاؤه عليه السلام في العوذة لإصابة العين.....37
دعاؤه عليه السلام في الاستعاذة.....38
دعاؤه عليه السلام عند التزام الركن.....40
دعاؤه عليه السلام إذا أفطر.....42
دعاؤه عليه السلام إذا هنأه بمولود.....43
دعاؤه عليه السلام عند احتضاره.....44
الخاتمة.....45

توطئة

تحية عطرة بشذا محمد وآل محمد صلوات الله عليهم أجمعين وبعد:

قبل أربع سنوات طُلِبَ مني إلقاء كلمة في الاحتفال بمولد الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، فبحثتُ بشكل بسيط عن الدعاء عند الإمام الحسن وأسميتها بإشراقات حسنية. وكانت الكلمة في حدود خمس صفحات. وكان التركيز فيها عن مضامين أدعية الإمام الحسن، وأن من خلال تلك الأدعية يتبين لنا الدعاء أحد خصائص الإمامة.

وفوجئتُ بعد الحفل بأخي الكبير ومعلمي وأستاذي الباحث العميق الأستاذ يوسف مدن أنه أثنى على الكلمة بشكل جميل، وذكر لي أن الكلمة تناولت جانبا مختلفا عما يتداول في البحث عن شخصية الإمام الحسن (عليه السلام)، وليس من حق هذا الموضوع أن يكون صفحات، بل يجب أن يعطى حقه بأن يكون بحثا أوسع. وطلب مني أن أتوسع فيها لتكون دراسة ولو موجزة، والحمد لله كان التوفيق في ذلك.

فكل الشكر وخالص الدعاء لأستاذي أبي محمد أستاذ يوسف مدن، فهو المنطلق لهذه الدراسة الموجزة.

وأما بعد:

الدعاء في الفكر الإسلامي وسيلةً للارتباط بالله تعالى، وهو ليس مجرد طلب أو رجاء، بل تعبير عن العبودية والخضوع. وعند الحديث عن الإمامة، فالدعاءُ يُعدّ من أبرز خصائص الإمامة، لما ينطوي عليه من مكانة روحية ومعنوية تمثل صميم دور الإمام في الهداية والقيادة. فالدعاء في منهج الأئمة ليس مجرّد تضرّع أو طلب، بل هو وسيلةٌ تربوية وإيمانية تحمل مضامين عميقة في توجيه الإنسان نحو التوحيد، وترسيخ القيم الأخلاقية، وتعميق الوعي الديني والاجتماعي. ومن خلال أدعيتهم المأثورة، قدّم الأئمةُ نموذجاً راقياً للتواصل بين العبد وربه، وجعلوا الدعاء مدرسةً للمعرفة والسلوك، وركناً أساسياً في بناء شخصية المؤمن وتثبيت معالم العقيدة. ومن هنا تتجلى أهمية دراسة الدعاء بوصفه خاصية من خصائص الإمامة، لما يحتويه من إشارات فكرية وروحية تُسهم في فهم أبعاد نهجهم وما قدّموه للأمة من تراث عميق.

فإذن الدعاء يمثل إحدى الخصائص البارزة التي تميز الأئمة المعصومين عليهم السلام، إذ كان لهم دور فريد في تعليم الأمة كيفية التوجه إلى الله بوعي وروحانية.

الدعاء عندهم لم يكن وسيلة شخصية لقضاء الحاجات فقط، بل مدرسة تربوية تهدف إلى تهذيب النفوس وربطها بالمطلق.

أنوار حسنية في الدعاء (4)

من خلال أدعيتهم، مثل دعاء كميل للإمام علي عليه السلام أو الصحيفة السجادية للإمام زين العابدين عليه السلام، تركوا تراثًا غنيًا يعلّم الناس معاني التوبة، الشكر، التوكل، والرضا بقضاء الله.

الدعاء من خصائص الإمامة:

- يمثل الدعاء من أبرز خصائص الإمامة. وسر من أسرارهم. حيث إن الدعاء عبادة عظيمة، وارتباط بالله بتوجه وخشوع وتذلل، ولجوء واستعانة بالله في كل الأحوال (السراء والضراء). فالأعلم والأخبر والأجدر بمعرفة هذه العبادة وأسرارها وكل ما يتعلق بها هم الأئمة الذين جعلهم الله نورا يهتدي به المؤمنون.
- فالدعاء يكشف عن عمق المعرفة الإلهية التي يمتلكها الإمام، فهو يعبر عن علمه بالله وصفاته وأسمائه الحسنى.
- الأئمة كانوا يوجهون الأمة عبر الدعاء إلى فهم العقيدة الصحيحة، مما يجعل الدعاء وسيلةً لإثبات مقامهم العلمي والروحي. حيث الدعاء عندهم ليس مجرد كلمات، بل هو انعكاس لعصمتهم، إذ يعبّر عن صفاء الروح ونقاء القلب الذي لا يشوبه خطأ أو انحراف.
- إن أدعية الأئمة ساهمت في بناء مجتمع متماسك قائم على القيم الروحية.
- الدعاء كان وسيلة لتعليم الناس الصبر في المحن، والرجاء في الشدائد، والاعتراف بضعف الإنسان أمام عظمة الخالق.
- بذلك أصبح الدعاء أحد أدوات الإمامة في قيادة الأمة نحو الكمال الروحي والأخلاقي.
- فأهل العصمة (عليهم السلام) هم المصدر الأول لثقافة الدعاء والاقتداء بهم؛ فعلموا أتباعهم وشيعتهم الدعاء في كل شيء، ولذلك لا يوجد مذهب من المذاهب الإسلامية كلها، كمذهب الشيعة غني بالأدعية في كل موطن وموقف مثلا: (دخول المنزل والخروج منه / دخول المسجد / دخول السوق / ساعة الحزن والضيق / للفقر وعسر المعيشة .....).

إن الدعاء ليس مجرد عبادة فردية، بل هو خاصية من خصائص الإمامة للمعصومين، حيث يجسد مقامهم الروحي والعلمي، ويُظهر دورهم في تربية الأمة وربطها بالله تعالى. ومن خلال تراثهم الدعائي، تركوا للأمة منهجًا خالدًا يعلّمها كيف تكون قريبة من الله في كل زمان ومكان.

وكما ورد في الدعاء الأثر سلاح المؤمن، وأئمتنا زودونا بهذا السلاح أيما تزويد، فهم أهله وموطنه والباب الذي يؤتى له منهم.

الإمام الحسن نموذج للإمامة في الدعاء:

- في هذه الإطلالة نسلط الضوء سريعا على منهج الدعاء عند أئمتنا من خلال الإمام الحسن المجتبى عليه السلام. كنموذج نستخلص منه أهم معالم الدعاء عند أهل العصمة (عليهم السلام).
- وأول ما نبدأ به في ذلك هذه الرواية عن الإمام الحسن (عليه السلام) ففي الكافي: عن العدة، عن البرقي، عن محمد بن علي، عن علي بن أسباط عمن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لقى الحسن بن علي عليهما السلام عبد الله بن جعفر فقال: يا عبد الله كيف يكون المؤمن مؤمنا وهو يسخط قسمه ويحقر منزلته والحاكم عليه الله، وأنا **الضامن لمن لم يهجس في قلبه إلا الرضا أن يدعو الله فيستجاب له.**

فهذه الرواية تبين لنا أن من شروط استجابة الدعاء هو التسليم والرضا والقبول بتقدير الله للعبد. فالإمام ضامن لمن يدعو ولم تخطر في باله هواجس وظنون أن يستجاب له الدعاء. فالإمام يوجهنا إلى أن نكون راضين بما قسم الله لنا فيه من تقدير، ولانبدي حتى في أنفسنا وخطرات ظنونا اعتراضا، وإلا فهي تؤثر في عدم استجابة الدعاء.

هذه الرواية تؤكد أن الدعاء ليس مجرد طلب، بل هو انعكاس لحالة روحية من التسليم لله. فكلما كان القلب مطمئنًا وراضيًا، كان الدعاء أقرب إلى الاستجابة.

والإمام الحسن عليه السلام يضع نفسه ضامنًا لاستجابة دعاء من لم يختلج في قلبه سوى الرضا، وهذا يبرز مقام الإمامة؛ إذ إن الإمام ليس فقط معلّمًا، بل هو شاهد وضامن على العلاقة بين العبد وربه.

كما يمكن أن نربط هذا المعنى بقول الله تعالى: ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ (الرعد: 28). فالاطمئنان والرضا هما الشرط الأساسي لصفاء الدعاء.

كما أن هذه الرواية تربي المؤمن على أن لا يجعل الدعاء وسيلة للاعتراض أو التذمر، بل وسيلة للتقرب والرضا، حتى لو لم تتحقق النتائج المادية التي يرجوها.

- ومن الرضا والتسليم لله لقبول الدعاء، يعلمنا الإمام الحسن في رواية أخرى أن من أهم مواطن ومواضع استجابة الدعاء في مكة هذه الأماكن، حيث قال:(إن الدعاء يستجاب هنالك في خمسة عشر موضعا: في الطواف، وعند الملتزم، وتحت الميزاب، وفي البيت وعند زمزم، وعلى الصفا والمروة، وفي السعي، وخلف المقام وفي عرفات، وفي المزدلفة، وفي منى وعند الجمرات الثلاث، فمحروم من لا يجتهد في الدعاء فيها).

فهذا توجيه وإرشاد من الإمام الحسن (عليه السلام) أن يستغل الإنسان وجوده في الحج أو العمرة، بأن يدعو في تلك الأماكن، فهي مواضع لها خصوصية في استجابة الدعاء لقدسيتها وعظمتها.

أنوار حسنية في الدعاء (7)

- ومن خلال الأدعية الواردة عن الإمام الحسن (عليه السلام)، نجد أن هناك خصوصية أيضا لأوقات معينة ولحظات خاصة يُدْعَى اللهُ فيها منها مثلا: دعاؤه في ليلة القدر، ودعاؤه الخاص في الصباح والمساء، ودعاؤه في التسبيح لله في اليوم الرابع من الشهر، ودعاؤه لطلب المغفرة، ودعاؤه على معاوية و و و

قراءة تحليلية في نماذج من أدعية الحسن (عليه السلام):

- ذكرنا سابقا أن الدعاء عبادة عظيمة وارتباط بالله، لذلك لابد أن تكون مضامين هذه العبادة عظيمة، وتصل بالعبد إلى أقصى مقامات التذلل والخشوع لله والثناء عليه، والإقرار لله بالعبودية والتوحيد.

وهنا بإطلالة سريعة على بعض أدعية الإمام الحسن (عليه السلام) نجد تلك المضامين العظيمة التي تكشف لك سر الإمامة وخصائصها ماثلة بوضوح لنا، وأن تلك المضامين واللطائف في الدعاء لا يمكن أن يدركها ويصل إليها إلا من اختاره الله لرسالته فالله يعلم حيث يجعل رسالته.

فدعاؤه في ليلة القدر المشهور بدعاء (يا باطنا في ظهوره) يقول فيه: **يا باطنا في ظهوره، ويا ظاهرا في بطونه، يا باطنا ليس يخفى، يا ظاهرا ليس يرى، يا موصوفا لا يبلغ بكينونته موصوف، ولا حد محدود. يا غائبا غير مفقود، ويا شاهدا غير مشهود، يُطْلَبُ فيصاب، لم يخل منه السماوات والأرض وما بينهما طرفة عين، لا يدرك بكيف، ولا يأين بأين ولا بحيث. أنت نور النور ورب الأرباب، أحطت بجميع الأمور، سبحان من ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير، سبحان من هو هكذا ولا هكذا غيره. (ثم تدعو بما تريد).**

إن كل تركيب وعبارة من عبارات هذا الدعاء تصب في مضامين التوحيد أي إقرار لله جل وعلا بوحدانيته وصفات توحيده.

فيبدأ الدعاء بمناجاة الله يا باطنا في ظهوره ويا ظاهرا في بطونه. حيث هذا التوجه لله جاء من أسمائه الحسنى (الباطن والظاهر) ويقول الشيخ الصدوق في كتاب التوحيد في شرح هذه العبارة أن الله باطن أي لا يرى بالأنظار، والظاهر أي وجوده ظاهر بآياته التي تدل على وجوده.

ثم يتوجه الإمام بقوله: (يا موصوفا لا يبلغ بكينونته موصوف، ولاحد محدود) فالله جل وعلا في وجوده وصفاته لا شبيه له، ولا مقيدة بقيد وحد. ثم يفصل الإمام في معنى الباطن والظاهر بقوله: (يا غائبا غير مفقود ويا شاهدا غير مشهود) فالله جل وعلا غائب عن الأنظار لا تدركه الأبصار، موجود في بصيرة الموحدين، ولأنه كذلك يقول الإمام: (يطلب فيصاب) فهو موجود في كل مكان وفي جميع الأحوال لا يخلو منه مكان في السماء والأرض.

ثم بعد ذلك يشير الإمام إلى أن الله في وجوده الباطن والظاهر في كل مكان وفي جميع الأحوال (لا يدرك بكيف، ولا يُأَيَن بأين ولا بحيث) فهذا إقرار بالتوحيد لله أن الله ليس بجسم فيكون له حيز وإطار يمكن من خلاله أن يكون له هيئة وحال من الأحوال فهو (لا يدرك بكيف) أو يكون له مكان يأخذ حيزه فيه (فهولا يأين بأين ولا بحيث).فهو واجب الوجود.

وبعد هذا يأخذ الإمام ما أقره الله لذاته في القرآن الكريم في آية النور أنه نور السماوات والأرض، فيبين الإمام أن نور الله نور كل نور، ورب الأرباب، فالأرباب كثيرون الأب رب الأسرة وصاحب العمل رب والمعلم ربّ، ولكن الله جل وعلا هو الربُ لهؤلاء الأرباب كلهم.

ويتوجه بعدها الإمام إلى الله بالاعتراف بأنه العليم الذي أحاط بكل شيء علما فيقول: (أحطت بجميع الأمور) لا يخفى عليه شيء.

وبعد هذا الإقرار والاعتراف لله بالتوحيد كله، يتوجه الإمام بالتنزيه لله جل وعلا ونفي الشريك له. (سبحان من ليس كمثله شيء، وهو السميع العليم، سبحان من هو هكذا ولا هكذا غيره) ثم تدعو بما تريد.

فالإمام يعلمنا أن في هذه الليلة العظيمة ليلة القدر نتوجه لله بأعظم شيء عند الله وهو التوحيد ونقر له بذلك ثم بعد هذا الإقرار والتنزيه ندعو الله بما نريد.

هذا الدعاء يكشف عن عمق مدرسة الإمامة في التوحيد؛ فالإمام يبدأ الدعاء بذكر أسماء الله الحسنى (الظاهر والباطن)، ثم يشرحها بأسلوب يربط بين النص القرآني والفهم العقلي والروحي. كل عبارة فيه ليست مجرد ثناء، بل هي درس في العقيدة، إذ يوضح أن الله تعالى لا يُدرك بالحواس ولا يُحد بزمان أو مكان، وهو واجب الوجود الذي ليس له شريك ولا يشبهه شيء.

كما أن هذا الدعاء يعلّم المؤمن أن يبدأ من الإقرار بالتوحيد والتنزيه قبل أن يطلب حاجاته، وكأن الإمام يوجّهنا إلى أن أعظم ما يُقدَّم لله في ليلة القدر هو الاعتراف بوحدانيته، ثم يأتي الدعاء بما يريد الإنسان من أمور دنياه وآخرته.

فأبرز المحاور التي تناولها هذا الدعاء:

- هذا الدعاء يربط بين المعرفة النظرية والممارسة العملية؛ فالمؤمن حين يقرأه لا يكتفي بالمعاني العقلية للتوحيد، بل يعيشها في قلبه ولسانه.
- الإمام يعلّمنا أن الدعاء ليس مجرد طلب، بل هو مناجاة توحيدية، تبدأ بالاعتراف بصفات الله وتنزيهه، ثم تنتهي بالطلب، وهذا منهج يعلمنا التأدب في طلب الحاجة من الله جل وعلا حيث لا يبدأ مباشرة بالحاجة.
- يمكن أن نربط هذا الدعاء بقول الله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (النور: 35)، حيث يوضح الإمام أن الله هو نور كل نور، وأن كل وجود يستمد نوره من نور الله.
- هذا الدعاء أيضًا يكشف عن علم الإمامة بمواطن الدعاء وأسراره؛ فاختيار ليلة القدر، وهي الليلة التي تتنزل فيها الملائكة والروح، يجعل الدعاء في هذه الليلة مرتبطًا بأعظم مضامين العقيدة، وهو التوحيد.

أنوار حسنية في الدعاء (10)

دعاء الإمام في ليلة القدر ليس مجرد نص تعبدي، بل هو منهج عقائدي يعلّم الأمة كيف تبدأ الدعاء بالتوحيد والتنزيه، ثم تتوجه إلى الله بالحاجات. وهذا يبرز أن الإمامة ليست منصبًا سياسيًا أو اجتماعيًا فقط، بل هي قيادة روحية وعلمية، تكشف عن أسرار العبودية لله، ولا تصدر إلا من الراسخين في العلم وهم أهل العصمة عليهم السلام.

أدعية الامام الحسن عليه السلام

دعاؤه عليه السلام في التسبيح لله سبحانه في اليوم الرابع من الشهر

سبحان من هو مطلع على خوازن القلوب ، سبحان من هو محصي عدد الذنوب ، سبحان من لا يخفى عليه خافية في السماوات والارض ، سبحان المطلع على السرائر عالم الخفيات . سبحان من لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، سبحان من السرائر عنده علانية ، والبواطن عنده ظواهر ، سبحان الله وبحمده .

هذا التسبيح، مدرسة في العقيدة؛ فالإمام يشير إلى أن الله مطّلع على القلوب والسرائر، وهو ما يربط بين العقيدة والسلوك؛ فالمؤمن لا يكتفي بالمظهر، بل عليه أن يهتم بصفاء قلبه.

كما أن هذا الدعاء يثبت أن الأئمة يمتلكون علمًا راسخًا في التوحيد، إذ يعبّرون عن صفات الله بدقة وعمق، وذلك لا يصدر إلا عن أهل العصمة الذين يعرفون الله حق معرفته.

كذلك نلاحظ الجمع بين النص القرآني (مثل مثقال الذرة) والشرح الدعائي يكشف أن الإمام هو المفسر الحقيقي للقرآن، وهو ما يثبت مقام الإمامة العلمي.

فهذا الدعاء يعلّمنا أن الله تعالى محيط بكل شيء، ظاهرًا وباطنًا، وأن المؤمن لا يملك إلا أن يسلّم قلبه لله ويطهّره من الخواطر السيئة، لأن السرائر عند الله علانية. وهو شاهد آخر على أن الإمامة مدرسة في التوحيد والروحانية.

دعاؤه عليه السلام في المناجاة

اللهم إنك الخلف من جميع خلقك، وليس في خلقك خلف منك، إلهي من أحسن فبرحمتك، ومن أساء فبخطيئته، فلا الذي أحسن استغنى عن رفدك ومعونتك، ولا الذي أساء استبدل بك وخرج من قدرتك . إلهي بك عرفتك، وبك اهتديت إلى أمرك ، ولولا أنت لم أدر ما أنت ، فيا من هو هكذا ولا هكذا غيره ، صل على محمد وآل محمد وارزقني الإخلاص في عملي، والسعة في رزقي، اللهم اجعل خير عمري آخره ، وخير عملي خواتمه، وخير أيامي يوم ألقاك . إلهي أطعتك ، ولك المنة علي في أحب الأشياء إليك ، الإيمان بك، والتصديق برسولك، ولم أعصك في أبغض الأشياء إليك، الشرك بك والتكذيب برسولك، فاغفر لي ما بينهما ، يا أرحم الراحمين .

الشرح:

اللهم إنك الخلف من جميع خلقك، وليس في خلقك خلف منك

المعنى: أنت يا الله الذي يخلف كل شيء إذا فقد، ولا أحد يمكن أن يخلفك أو يقوم مقامك. فيه تأكيد على أن الله هو الملجأ الوحيد عند فقدان كل شيء.

إلهي من أحسن فبرحمتك، ومن أساء فبخطيئته

المعنى: من أحسن في الأعمال فذلك بفضل رحمة الله وتوفيقه، ومن أساء فبسبب تقصيره وخطيئته.

يعلّمنا التواضع وعدم الغرور بالطاعات.

فلا الذي أحسن استغنى عن رفدك ومعونتك، ولا الذي أساء استبدل بك وخرج من قدرتك

حتى المحسن لا يستغني عن عون الله، والمسيء لا يستطيع أن يخرج من سلطان الله.

وهنا الإمام (عليه السلام) يرسّخ مفهوم الاعتماد على الله في كل الأحوال.

إلهي بك عرفتك، وبك اهتديت إلى أمرك، ولولا أنت لم أدر ما أنت

المعرفة الحقيقية بالله هي هبة منه، والهداية لا تكون إلا بتوفيقه.

يربّي على الشكر لله على نعمة الإيمان.

اللهم اجعل خير عمري آخره، وخير عملي خواتمه، وخير أيامي يوم ألقاك:

طلب حسن الخاتمة، وهو من أعظم المطالب في الدعاء. فيذكّرنا بالاستعداد للآخرة.

إلهي أطعتك... ولم أعصك في أبغض الأشياء إليك، الشرك بك والتكذيب برسولك، فاغفر لي ما بينهما:

اعتراف بالطاعة في أعظم الأمور (التوحيد)، ورجاء المغفرة في ما دون ذلك من الذنوب. يعلّمنا التوازن بين الرجاء والخوف.

التعليق:

فهذه المناجاة تربّي المؤمن على التواضع، فلا يغترّ بعمله ولا يقنط من رحمة الله. كما أنها ترسّخ مفهوم أن المعرفة بالله والهداية إليه فضل إلهي، وليست بجهد الإنسان وحده. يذكّرنا بأهمية حسن الخاتمة، وأن خير الأيام هو يوم لقاء الله.

يعلّمنا أن الدعاء ليس مجرد طلب، بل هو مناجاة وتوحيد وثناء قبل السؤال والطلب.

ما أرقَّ هذه الكلمات حين تُظهر فقر العبد وافتقاره التام لربه، وتُبرز سعة رحمة الله وعدله ولطفه. إنها مناجاة تعلّم القلب أن كل خير منه سبحانه، وأن كل زلل من النفس، وأن لا ملجأ ولا منجى إلا إليه. كلمات تفتح باب الرجاء، وتُربي الصدق، وتبعث في الروح نور الإخلاص وحسن الخاتمة.

وهنا نتساءل متى يُستحب قراءته؟

في أوقات الخلوة والمناجاة، خصوصًا في ليالي القدر، أو عند الشعور بالحاجة إلى التوبة والرجوع إلى الله.

الفائدة الروحية:

يعزز الإخلاص، ويقوي التوكل، ويجعل القلب أكثر خشوعًا وقربًا من الله.

دعاؤه عليه السلام لطلب المغفرة

اللهم اني أتقرب إليك بجودك وكرمك ، وأتقرب إليك بمحمد عبدك ورسولك، وأتقرب إليك بملائكتك المقربين وأنبيائك ورسلك، أن تصلي على محمد عبدك ورسولك وعلى آل محمد ، وأن تقيلني عثرتي، وتستر علي ذنوبي، وتغفرها لي، وتقضي لي حوائجي ، ولا تعذبني بقبيحٍ كان مني ، فإن عفوك وجودك يسعني، إنك على كل شئ قدير.

التعليق:

هذه المناجاة تنبض بروح العبد الذي عرف قدر ربه وعرف قدر نفسه؛ فتراه يلوذ بجود الله قبل أعماله، ويستند إلى كرمه قبل طاعته، لأنه يعلم أن الوصول لا يكون إلا به سبحانه. وهي كلمات تُظهر أن أقرب طريق إلى الله هو التوسل برحمته الواسعة وبأحب خلقه إليه (وهذه إشارة بجواز التوسل بالنبي صلى الله عليه وآله)، وأن العبد مهما طال به التقصير فإن باب العودة مفتوح ما دام قلبه حيًا برجاء العفو.

وفيها اعتراف صادق بأن الأخطاء والزلات لا تعالج بقوة العبد، بل برحمة الله التي تشمل الضعفاء والمذنبين، وأن ستره أعظم من أن يفضح، وحلمه أعظم من أن يعاجل بالعقوبة. كما تعكس يقينًا بأن قضاء الحاجات، ومحو الذنوب، وتضميد العثرات، كلها بيد الله وحده، وأن العبد لا يملك إلا الافتقار والخضوع.

إنها مناجاة تُذكر القلب أن عفو الله أعظم من الذنوب، وأن القرب منه لا يطلب بالكمال، بل بالصدق والانكسار، وأن الله قادر على أن يجمع للعبد ستر الدنيا، وغفران الآخرة، وسعة الرحمة التي لا تُحد ولا تُعد.

دعاؤه عليه السلام لطلب المغفرة وإنجاح المطالب

يا عدتي عند كربتي ، يا غياثي عند شدتي ، يا وليي في نعمتي ، يا منجحي في حاجتي ، يا مفزعي في ورطتي ، يا منقذي من هلكتي ، يا كالئي في وحدتي . اغفر لي خطيئتي ، ويسر لي أمري ، واجمع لي شملي ، وأنجح لي طلبتي ، وأصلح لي شأني ، واكفني ما أهمني ، واجعل لي من أمري فرجا ومخرجا ، ولا تفرق بيني وبين العافية أبدا ما أبقيتني، وفي الآخرة إذا توفيتني، برحمتك يا أرحم الراحمين .

التعليق:

هذا الدعاء مناجاة تُظهر أدب العبد مع ربّه، وتذكّره بمقام الافتقار التام إلى الله وحده. ففي كل جملة يضع الداعي يده على موضع ضعفٍ فيه، ويكشف عن حاجته الملحّة إلى الله: وقت الكرب، ووقت الشدة، ووقت الوحدة، ووقت السقوط في المهالك، بل وحتى في أيام النعمة التي يغفل فيها كثير من الناس عن مصدر الخير.

إنه دعاء يعلّم القلب أن الله هو العُدّة حين تنقطع الأسباب، وهو الغياث حين تضيق السبل، وهو الوليّ حين تمتد النعم، وهو المنقذ حين لا ينفع أحد. وفيه اعتراف صريح بأن الذنوب لا يمحوها إلا الله، وأن الحاجات لا يحققها إلا هو، وأن شؤون الحياة ـ ما خفي منها وما ظهر ـ لا يصلحها إلا ربّ العالمين.

كما يجمع هذا الدعاء بين طلب المغفرة، وطلب التيسير، وطلب جمع الشمل، وطلب الفرج، وهي حاجات لا يخلو منها قلب إنسان؛ فهو دعاء يلمس كل زاوية من زوايا الإنسان النفسية والروحية والدنيوية. ثم يختم بطلب عظيم: ألا يُفرّق الله بينه وبين العافية، وهي كلمة تختصر كل رغبات الدنيا، ثم يطلب العافية في الآخرة وهي غاية الغايات.

إنه دعاء يُذكّر بأن السكينة ليست في زوال الشدائد فقط، بل في معرفة من نلجأ إليه في كل لحظة. وكل من داوم على هذه الكلمات شعر بأن الله أقرب إليه من كل شيء، وأرحم به من نفسه.

دعاؤه عليه السلام لطلب مكارم الاخلاق

يا من إليه يفر الهاربون ، وبه يستأنس المستوحشون ، صل على محمد واله واجعل انسي بك ، فقد ضاقت عني بلادك ، واجعل توكلي عليك ، فقد مال علي أعداؤك . اللهم صل على محمد وال محمد واجعلني بك أصول ، وبك أجول ، وعليك أتوكل ، واليك أنيب . اللهم وما وصفتك من صفة ، أو دعوتك من دعاء ، يوافق ذلك محبتك ورضوانك ومرضاتك ، فاحيني على ذلك وأمتني عليه ، وما كرهت من ذلك ، فخذ بناصيتي إلى ما تحب وترضى . بؤت إليك ربي من ذنوبي ، واستغفرك من جرمي ، ولا حول ولا قوة الا بالله ، لا اله الا هو الحليم الكريم ، وصلى الله على محمد واله ، واكفنا مهم الدنيا والآخرة في عافية ، يا رب العالمين .

التعليق:

يمثل هذا الدعاء المروي عن الإمام الحسن عليه السلام نموذجاً رفيعاً من أدعية أهل البيت التي تجمع بين التربية الروحية وسموّ الأخلاق وعمق التوحيد. فهو يبدأ بإظهار الافتقار الكامل إلى الله تعالى بوصفه الملجأ الذي يفرّ إليه الخائفون ويأنس به المستوحشون، فيعكس بذلك حاجة الإنسان الدائمة إلى السكينة الإلهية في عالم يمتلئ بالضيق والاضطراب. ويبرز الإمام من خلال طلبه للأنس بالله والتوكل عليه أن الأخلاق العالية لا يمكن أن تُكتسب بمجرد الجهد الشخصي، بل تنشأ من علاقة عميقة بالله، علاقة تجعل المؤمن ثابتاً في مواقفه، متوازناً في خطواته، محتسباً في شدائده. ثم يبيّن عليه السلام أن الحركة في الحياة ـ أصلاً وجولاناً وتوكلاً وإنابة ـ لا تكون مثمرة إلا إذا كانت مستندة على معونة الله، فالمؤمن لا يقوم ولا يتحرك ولا يعود إلا من خلال قوة يستمدها من ربه. ويتجلى في الدعاء تأكيدٌ على أن مكارم الأخلاق مرتبطة بما يحبه الله ويرضاه، ولذلك يطلب الإمام الثبات على الأعمال الموافقة لمرضاته، والتسديد في ترك ما يكرهه، حتى يصل الإنسان إلى حالة من الطهارة القلبية لا تتحقق إلا إذا تولى الله زمام قيادتها. كما أن اعترافه بالذنب وبوحه إلى الله يكشف عن عمق التواضع المعرفي والروحي في منهج الأئمة، فهم يعلّمون الناس أن الارتقاء الأخلاقي يبدأ بالاعتراف بالقصور لا بادعاء الكمال. ويختم الدعاء بطلب الكفاية في الدنيا والآخرة مع العافية، مما يشير إلى أن أعظم ما يُسأل هو العافية التي تحفظ الدين والنفس والجسد، وتكون أساساً لبلوغ مكارم الأخلاق والقيام برسالة الإنسان في الأرض. وهكذا يتضح أن هذا الدعاء ليس مجرد كلمات، بل هو منهج تربوي كامل يرسم ملامح شخصية المؤمن ويربط الأخلاق بالمعرفة والتوكل والعبودية والإنابة.

دعاؤه عليه السلام لطلب النصر واليقين من الله

اللهم اني أسألك من كل أمر ضعفت عنه حيلتي ، أن تعطيني منه ما لم تنتهِ إليه رغبتي ، ولم يخطرْ ببالي ، ولم يجرِ على لساني ، وأن تعطيني من اليقين ما يحجزني أن أسأل أحدا من العالمين ، إنك على كل شئ قدير .

التعليق:

هذا الدعاء ينطلق من اعتراف العبد بعجزه وضعفه أمام أقدار الله، ويُظهر مدى حاجته إلى عطاء ربّ لا تحدّه حدود، ولا يحصره سؤال ولا يحيط به خيال. فالسائل هنا لا يطلب ما يعرفه فقط، بل يطلب ما لم يخطر بباله، وما لم يجرِ على لسانه، وما هو فوق قدرته وتصوراته، وكأنه يقول:

يا رب، أعطني من فضلك ما يليق بكرمك، لا ما يليق بحاجتي المحدودة.

وفي الشطر الثاني من الدعاء يطلب السائل يقينًا عظيمًا، يقينًا يصل به إلى مرحلة الاستغناء بالله عن العالمين؛ فلا تمتد يداه إلى أحد، ولا يعلّق قلبه إلا بربه.

دعاؤه عليه السلام في قنوت الوتر

اللهم اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت ، وقني شر ما قضيت، إنك تقضي ولا يقضى عليك ، إنه لا يذل من واليت ، تباركت ربنا وتعاليت .

التعليق:

هذا الدعاء يجمع كل ما يحتاجه العبد:

هداية تضيء طريقه، وعافية تحفظ بدنه وروحه، وبركة تنمّي رزقه وعمره، وحماية من الشرور، ثم خضوعٌ لله الذي لا يُرَدّ قضاؤه ولا يُغلب أمره.

إنه دعاء المؤمن الذي يقف بين يدي الله في لحظة صفاء، فيسأل الخير كله، ويستعيذ من الشر كله، ويُعلن بصدق: "يا رب، أنت مولاي ولا مولى لي سواك".

دعاؤه عليه السلام في القنوت

يا من بسلطانه ينتصر المظلوم ، وبعونه يعتصم المكلوم ، سبقت مشيتك ، وتمت كلمتك ، وأنت على كل شئ قدير ، وبما تمضيه خبير . يا حاضر كل غيب ، ويا عالم كل سر ، وملجأ كل مضطر ، ضلت فيك الفهوم ، وتقطعت دونك العلوم، وأنت الله الحي القيوم ، الدائم الديموم . قد ترى ما أنت به عليم ، وفيه حكيم ، وعنه حليم ، وأنت بالتناصر على كشفه والعون على كفه غير ضائق ، وإليك مرجع كل أمر كما عن مشيتك مصدره . وقد أبنت عن عقود كل قوم، وأخفيت سرائر آخرين ، وأمضيت ما قضيت ، وأخرت ما لا فوت عليك فيه ، وحملت العقول ما تحملت في غيبك ، ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيي من حي عن بينة ، وانك أنت السميع العليم ، الاحد البصير . وأنت اللهم المستعان ، وعليك التوكل ، وأنت ولي ما توليت ، لك الأمر كله ، تشهد الانفعال وتعلم الاختلال ، وترى تخاذل أهل الخبال ، وجنوحهم إلى ما جنحوا إليه ، من عاجل فإن وحطام عقباه حميم أن ، وقعود من قعد ، وارتداد من ارتد ، وخلوي من النصار ، وانفرادي من الظهار ، وبك اعتصم ، وبحبلك استمسك ، وعليك أتوكل . اللهم فقد تعلم اني ما ذخرت جهدي ، ولا منعت وجدي ، حتى إنفل حدي ، وبقيت وحدي ، فاتبعت طريق من تقدمني ، في كف العادية ، وتسكين الطاغية عن دماء أهل المشايعة ، وحرست ما حرسه أوليائي من امر آخرتي ودنياي . فكنت لغيظهم أكظم ، وبنظامهم انتظم ، ولطريقتهم أتسنم ، وبميسمهم اتسم ، حتى يأتي نصرك ، وأنت ناصر الحق وعونه ، وإن بعد المدى من المرتاد ، ونأى الوقت عن أفناء الأضداد . اللهم صل على محمد وآله وأخرجهم مع النصاب في سرمد العذاب ، واعمِ عن الرشد أبصارهم ، وسكعهم في غمرات لذاتهم ، حتى تأخذهم بغتة وهم غافلون ، وسحرة وهم نائمون ، بالحق الذي تظهره ، واليد التي تبطش بها ، والعلم الذي تبديه ، إنك كريم عليم .

التعليق:

هذا الدعاء رسمٌ حيٌّ لصورة المؤمن الذي تراكمت عليه الشدائد، وتخاذل عنه الناس، وتكاثر عليه أهل البغي، فالتجأ إلى من لا يخيب من قصده:

إلى الله... بسلطانه، وقهره، وعدله، ونصره.

وهو دعاء يُشعر القارئ بأن صاحبه لم يكن مجرد طالب للنصر، بل صاحب موقف...

موقف ثبات، وصبر، وحكمة، وإيثار لمصلحة الأمة على مصلحته الخاصة؛ فهو يصبر على البغي كي لا تُسفك دماء الأبرياء، ويكظم الغيظ، ويحفظ النظام، ويمنع الطغيان من الإضرار بالناس.

فهذا الدعاء عظيم؛ لأنه يُظهر صدق الافتقار إلى الله. ويجسّد ظلامة صاحب الحق وصبره. ويذكّر أن النصر لا يُرى إلا بعد يقين كامل وثقة لا تهتز. ويجمع بين الشكوى، والتوكل، والصبر، والتسليم، وانتظار الفرج.

في القنوت

اللهم إنك الرب الرؤوف ، الملك العطوف ، المتحنن المألوف ، وأنت غياث الحيران الملهوف ، ومرشد الضال المكفوف، تشهد خواطر أسرار المسرين ، كمشاهدتك أقوال الناطقين . أسألك بمغيبات علمك في بواطن سرائر المسرين إليك، أن تصلي على محمد وآله ، صلاة نسبق بها من اجتهد من المتقدمين، ونتجاوز فيها من يجتهد من المتأخرين ، وأن تصل الذي بيننا وبينك ، صلة من صنعته لنفسك واصطنعته لعينك . فلم تتخطفه خاطفات الظنن ولا واردات الفتن، حتى نكون لك في الدنيا مطيعين، وفي الآخرة في جوارك خالدين .

التعليق:

هذا الدعاء من أدعية القنوت الرفيعة التي تجمع بين التوحيد، والتذلل، وطلب الثبات، والرجاء في صُحبة الله، وفيه ألفاظ بديعة ومعانٍ دقيقة تعكس عمق الروح الخاشعة.

حيث إن هذا الدعاء يبدأ بمدح الله بأسماء الرحمة واللطف والرأفة، ثم يبيّن أن الله مطّلع على سرائر عباده وعلانية أعمالهم، وأنه المرجعُ للحيارى والضعفاء والضالين، فهو وحده الذي يهدي، ويرشد، ويثبت.

ثم ينتقل الداعي ليطلب من الله صلةً خاصة، نعمةً لا تنقطع، وثباتًا لا تهزه الفتن، وجوارًا في الآخرة لا يزول.

إنه دعاء من يريد القرب من الله في الدنيا، والخلود بجواره في الآخرة.

إنه دعاء يجمع بين: الاعتراف بضعف الإنسان والتعظيم لرحمة الله، وطلب الهداية والثبات، والرجاء في الجوار الإلهي يوم القيامة. إنه دعاء من يريد السير إلى الله بقلب خاشع، وروح ثابتة، ومحبّة صادقة.

دعاؤه عليه السلام في الاستسقاء

اللهم هيج لنا السحاب بفتح الأبواب ، بماء عباب ورباب ، بانصباب وانسكاب . يا وهاب ، اسقنا مغدقة ، مطبقة مونقة ، فتح أغلاقها ، ويسر أطباقها ، وسهل اطلاقها ، وعجل سياقها بالأندية في بطون الأودية ، بصبوب الماء . يا فعال ، اسقنا مطرا قطرا ، طلا مطلا ، مطبقا طبقا ، عاما معما ، رهما بهما ، رحما رشا مرشا ، واسعا كافيا ، عاجلا طيبا ، مريئا مباركا ، سلاطحا بلاطحا ، يباطح الأباطح ، مغدودقا مغرورقا . اسق سهلنا وجبلنا ، وبدونا وحضرنا ، حتى ترخص به أسعارنا ، وتبارك لنا في صاعنا ومدنا ، أرنا الرزق موجودا ، والغلا مفقودا ، امين رب العالمين .

التعليق:

هذا الدعاء من أدعية الاستسقاء البليغة التي تمتلئ بصور لغوية قوية، وإيقاعٍ لفظيٍّ جميل، ومعانٍ خاشعة تليق بمقام طلب المطر والرحمة من الله. وهو يجسد شعور الإنسان حين يقف محتاجًا للماء، مستغيثًا بربّ السحاب والأمطار، متوسلًا إليه أن يفتح أبواب السماء، ويغيث البلاد والعباد.

هذا الدعاء يفيض: استعطافًا لرحمة الله، واعترافًا بفقر الخلق إلى المطر، وتصويرًا بديعًا لحركة السحاب والمطر،

وإلحاحًا في الطلب، ودقة في الوصف حتى تغمر الروح مشهد الغيث مباركًا من السماء.

إنه من الأدعية التي تحرّك القلب، لأن كل كلمة فيه تنقل مشهدًا حيًا من الغيم، والسيل، والبركة، والإنبات، وتحوّل القحط إلى خصب.

فهذا الدعاء مميز؛ حيث إن لغته قوية، مليئة بالألفاظ القديمة العذبة. يقدّم لوحات حية للسحاب والمطر.

يجمع بين الحاجة الدنيوية والروحانية. يشعرك بأن المطر رحمةٌ، ورزقٌ، ودواء، وبركة.

دعاؤه عليه السلام عند باب المسجد

روى أنه كان عليه السلام إذا بلغ باب المسجد رفع رأسه ويقول : إلهي ضيفك ببابك ، يا محسن قد أتاك المسيء ، فتجاوز عن قبيح ما عندي بجميل ما عندك ، يا كريم

هذا الدعاء القصير الذي كان يقوله عند باب المسجد هو من أرقّ ما نُقِل في باب التذلل والخضوع، وهو يفتح القلب على معاني الضيافة الإلهية والرجاء في ستر الله وعفوه. وعلى قِصَره، فهو يجمع أصول العبادة: الاعتراف بالذنب، الثناء على الله، والرجاء في رحمته.

فهذا الدعاء مؤثّر؛ لأن العبد يقف على باب المسجد بقلب منكسر، معترفًا بذنبه. وهو يعلم أن دخوله بيت الله ليس اعتمادًا على صلاحه، بل على كرم الله. ويبدأ عبادته بروح الافتقار بدل الغرور. ويذكّر نفسه بأن ربّه كريم، متجاوز، محسن.

ولهذا يعد هذا الدعاء تهيئة للقلب قبل دخول بيت الله، حتى يدخل وهو أنقى، وأصدق، وأقرب.

دعاؤه عليه السلام في الاحتجاب

اللهم يا من جعل بين البحرين حاجزا وبرزخا وحجرا محجورا ، يا ذا القوة والسلطان ، يا علي المكان ، كيف أخاف وأنت أملي، وكيف أضام وعليك متكلي . فغطني من أعدائك بسترك، وأفرغ عليَّ من صبرك، وأظهرني على أعدائي بأمرك ، وأيدني بنصرك، إليك اللجأ ونحوك الملتجأ، فاجعل لي من أمري فرجا ومخرجا . يا كافي أهل الحرم من أصحاب الفيل ، والمرسل عليهم طيرا أبابيل ، ترميهم بحجارة من سجيل ، ارمِ من عاداني بالتنكيل . اللهم إني أسألك الشفاء من كل داء ، والنصر على الأعداء ، والتوفيق لما تحب وترضى . يا إله من في السماء والأرض، وما بينهما وما تحت الثرى، بك أستكفي، وبك أستشفي ، وبك أستعفي، وعليك أتوكل، فسيكفيكهم الله، وهو السميع العليم .

يمثّل هذا الدعاء المبارك للإمام الحسن عليه السلام أنموذجاً بديعاً من أدعية أهل البيت التي يجتمع فيها التوحيد والاعتماد على الله مع طلب الحماية والاحتجاب من الشرور، إذ يبدأ عليه السلام باستحضار قدرة الله القاهرة التي جعلت بين البحرين حاجزاً، وهي إشارة إلى أن القادر على ضبط قوى الطبيعة هو الأقدر على حماية عباده من أعدائهم، فيؤكد بذلك أن الأمن الحقيقي لا ينبع من الوسائل الظاهرة وحدها، بل من الالتجاء إلى القدرة الإلهية التي "لا يعجزها شيء". ثم يعلن الإمام بوضوح أن الخوف يزول عندما يكون الأمل بالله، وأن الذلّ يرتفع لما يكون الاتكال على ركن لا ينهار، ليغرس في قلب المؤمن قاعدة روحية عظيمة: أن طمأنينة النفس ليست من قوة السلاح، بل من قوة التوكل. ويطلب الإمام بعد ذلك أن يكون في ستر الله وحمايته، وأن يلبسه الله ثوب الصبر في مواجهة الشدائد، لأن الصبر هو أعظم سلاح للمؤمن، وبه ينتصر على نفسه قبل أن ينتصر على أعدائه. ويستحضر الإمام قصة أصحاب الفيل، وهي رمز لإهلاك المعتدين بقدرة خارقة لا تخطر على بال البشر، ليبين أن النصر لا يقاس بالكثرة والعدة، بل بميزان "إرادة الله" التي إذا شاءت غيّرت مجرى الأحداث. ثم يأتي دعاؤه بالشفاء من الداء والنصر على الأعداء والتوفيق لما يحب الله ويرضى، وهذا يعكس شمولية منهج أهل البيت في الدمج بين الصحة الجسدية والسلامة الروحية والتوفيق العملي، وهي العناصر الثلاثة لبناء الإنسان المتوازن. ويختم عليه السلام بتجديد التوكل على الله وطلب الكفاية منه، مؤكداً أن الله وحده هو الكافي، وهو الشافي، وهو الذي بيده دَفع البلاء وجلب العافية؛ وأن كلّ اعتماد دون الله هو اعتماد ناقص. وهكذا يظهر هذا الدعاء كمدرسة كاملة في التوكل، والطمأنينة، واليقين، والاحتماء بالله، ويبيّن كيف يكون الاحتجاب الإلهي حصناً منيعاً للمؤمن في مواجهة الأخطار الظاهرة والخفية معاً.

هذا الدعاء يجمع بين الثقة بالله والرهبة منه والبراءة من حول العبد وقوته. ويصوّر عظمة الله في خلقه، ثم يربط هذه العظمة بحماية العبد. كما يذكر قصص النصر الإلهي ليملأ القلب يقينًا.

وفيه يلتمس الستر، والصبر، والفرج، والنصر، والشفاء.... كلّها في دعاء واحد.

فالدعاء يربّي النفس على التوكل والتسليم.

دعاؤه عليه السلام في الاحتراز

بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم اني أسألك بمكانك وبمعاقد عزك، وسكان سماواتك، وأنبيائك ورسلك، أن تستجيب لي، فقد رهقني من أمري عسر . اللهم إني أسألك أن تصلي على محمد وآل محمد وأن تجعل لي من عسري يسرا .

هذا الدعاء الشريف من أدعية الاحتراز، وهو دعاء قصير في ألفاظه، عظيم في معانيه، يجمع بين التوسل بجلال الله وملائكته ورسله، وبين طلب تفريج العسر وجعله يسيرًا، وفيه روح الانكسار وحلاوة اللجوء إلى الله.

حيث يمتاز دعاء الإمام الحسن عليه السلام في الاحتراز بعمقٍ روحي كبير رغم وجازته، فهو يبدأ بالتسمية التي تُعطي للدعاء بعده التوحيدي، ثم يتوسّل الإمام بصفات العظمة الإلهية ومظاهر السلطان الرباني: بمكان الله، ومعاقد عزّه، وسكان سماواته، وأنبيائه ورسله، وهي تعابير تكشف عن فهم دقيق لمراتب القرب (وهذا لا يكون إلا ممن اختصه الله برسالته)، وتدلّ على أن أبواب الرحمة تُفتح حين يستحضر الداعي عظمة من يخاطبه وجلال من يناجيه. وبعد هذا الاستحضار للهيبة الإلهية، ينتقل الإمام إلى بيان حاله بعبارة موجزة لكنها مكثّفة: رهقني من أمري عسر، فيصوّر الإنسان حين تضيق به الدروب وتثقل عليه الابتلاءات، فلا يجد ملجأً إلا الدعاء. ثم يسأل الإمام الله أن يجعل العسر يسراً، مؤكداً أن تحوّل الشدة إلى رخاء ليس بقدرة بشر، بل بيد الله وحده، وهو ما ينسجم مع الآية: فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا. ويكشف الدعاء عن انكسار جميل أمام الله، يجمع بين شعور الضعف البشري ولذة الالتجاء إلى القادر المطلق، مما يجعل الداعي يعيش حالة الطمأنينة التي تنبع من يقين بأن المخرج بيد الله مهما تعقّدت الأمور. ويمثل الدعاء مثالاً راقياً على أن الاحتراز الحقيقي ليس بالاعتزال الظاهري فحسب، بل بالارتماء على باب الله، والاحتماء بجلاله، واستمداد القوة من رحمته، ليصبح الدعاء نفسه درعاً يحمِي القلب من الاضطراب، ويقوّي الإرادة في مواجهة العسر والشدائد.

فرسالة الدعاء الأساسية: الاعتراف بالعجز، والتوسل بعظمة الله وبأهل طاعته، والطلب الصادق لإزالة الضيق، والثقة بأن كل عسر مهما طال، فإنه يسير بإذن الله.

إنه دعاء من يريد أن يفتح الله له أبوابًا مغلقة، ويرفع عنه همًّا طال أمده.

دعاؤه عليه السلام إذا أحزنه أمر

روى أنه عليه السلام إذا أحزنه أمر ، خلا في بيت ودعا به : يا كهيعص ، يا نور يا قدوس ، يا خبير يا الله يا رحمان - ثلاثا . اغفر لي الذنوب التي تحل بها النقم ، واغفر لي الذنوب التي تغير النعم ، واغفر لي الذنوب التي تهتك العصم، واغفر لي الذنوب التي تنزل البلاء ، واغفر لي الذنوب التي تعجل الفناء . واغفر لي الذنوب التي تديل الأعداء، واغفر لي الذنوب التي تقطع الرجاء، واغفر لي الذنوب التي ترد الدعاء، واغفر لي الذنوب التي تمسك غيث السماء، واغفر لي الذنوب التي تظلم الهواء ، واغفر لي الذنوب التي تكشف الغطاء . ثم يدعو بما يريد .

هذا الدعاء من أعظم أدعية الانكسار واللجوء إلى الله عند نزول الهمّ والحزن، وقد روي أنه كان يُقال إذا أحزن الأمر وأظلمت الدنيا في وجه الداعي، فيدخل خلوة مع الله، ويبدأ بنداءاته العظيمة، ثم يذكر أصناف الذنوب التي تكون سببًا في البلاء، طالبًا المغفرة والرحمة والنجاة.

يكشف هذا الدعاء الذي كان الإمام الحسن عليه السلام يقرؤه إذا أحزنه أمر عن عمق منهج أهل البيت في معالجة الهموم والأحزان عبر العودة الجذرية إلى الله، فهو يبدأ بالتوسل بأسماء عظيمة جامعة لصفات النور والقداسة والعلم والرحمة، ليؤسس للداعي حالة روحية تمتلئ باليقين قبل الطلب. ثم ينتقل الإمام إلى سلسلة من الاستغفارات الفريدة، التي لا تُعالج الذنب بوصفه خطيئة شخصية فحسب، بل باعتباره سبباً مؤثراً في مجريات الحياة والأقدار، فيعدّ الذنوب بحسب آثارها: فمنها ما يجلب النقم، ومنها ما يزيل النعم، ومنها ما يهتك الستر، أو ينزل البلاء، أو يعجّل الفناء، أو يقوّي العدو، أو يقطع الرجاء، أو يرد الدعاء، أو يمنع الغيث، أو يظلم الهواء، أو يكشف الغطاء. وهذا التراتب العجيب يربّي النفس على الوعي بأن الذنب ليس فعلاً عابراً، بل له ظلال روحية واجتماعية وكونية، وأن الفرج الحقيقي يبدأ من إصلاح الداخل قبل إصلاح الخارج. ومن المعاني البديعة أن الإمام لا يبدأ بطلب حاجته مباشرة، بل يجعل الاستغفار مقدمة لازمة لاستجابة الدعاء، وكأنه يعلّم المؤمن أن إزالة الموانع بين العبد وربه شرط لفتح أبواب الرحمة. كذلك يكشف الدعاء أن مواجهة الحزن ليست بالشكوى والجزع، بل بالعودة إلى الله عبر توبة مستمرة ترفع الحواجز الروحية وتعيد للقلب صفاءه وقوته. وينتهي الدعاء بعبارة موجزة: ثم يدعو بما يريد، وهي إشارة إلى أن التهيؤ الروحي هو الأساس في قبول الدعاء، وأن من استفتح دعاءه بتعظيم الله واستغفار صادق، كان أقرب إلى الإجابة وأبعد عن اليأس. وهكذا يتجلّى هذا الدعاء كمدرسة روحية كاملة تعلّم الإنسان أن الحزن مهما اشتدّ فإن علاجه يبدأ من الداخل: من تطهير القلب، ومعرفة أثر الذنب، والرجوع إلى الله رجوعاً صادقاً ممزوجاً بالتوبة والخضوع واليقين.

دعاؤه عليه السلام في دفع كيد الأعداء ورد بأسهم

اللهم إني أدرأ بك في نحورهم، وأعوذ بك من شرورهم، وأستعين بك عليهم، فاكفنيهم بما شئت، وأنى شئت، من حولك وقوتك ، يا أرحم الراحمين .

يختصر هذا الدعاء الشريف للإمام الحسن عليه السلام منهجاً عميقاً في التعامل مع العدوان والخصومة من خلال الارتباط بالله وحده بوصفه الركن الأوثق والملجأ الأقوى، فيبدأ الإمام بقوله: اللهم إني أدرأ بك في نحورهم، أي أجعل حماية الله درعاً أتقدّم به نحو أعدائي، وهي صياغة تكشف عن يقينٍ بأن الوقاية الحقيقية لا تتحقق بالعدة ولا بكثرة الأنصار، وإنما بالعناية الإلهية التي تردّ الشرّ قبل وقوعه. ثم يتبع ذلك بقوله: وأعوذ بك من شرورهم، فيبيّن أن العداوة ليست فقط مواجهة مباشرة، بل قد تكون دسائس وكيداً خفياً، وأن الاستعاذة بالله توفّر للمؤمن حصناً يحميه مما لا يراه. ويضيف الإمام: وأستعين بك عليهم، فيؤكّد أنّ القوة الحقيقة ليست ذاتية، بل مستمدّة من قدرة الله، وأن النصر لا يُنال إلا إذا ارتبط القلب بربّ السماء قبل أن يتوجه إلى أسباب الأرض. ثم يأتي الدعاء المحوري: فاكفنيهم بما شئت، وأنّى شئت، من حولك وقوتك، وهي عبارة تُظهر أعلى مراتب التفويض والتسليم، إذ لا يحدّد الإمام وسيلةً معيّنة ولا وجهاً دون آخر، وإنما يترك الأمر كلّه لحكمة الله، فيُربّي المؤمن على ألا يتقيّد بتصوّراته الخاصة، وعلى أن يسلّم لله في الطريقة والزمن والنتيجة. واستخدامه لعبارة من حولك وقوتك يرسّخ التوحيد العملي؛ فالإنسان لا حول له ولا قوة إلا بالله، وأي اعتماد على غير الله هو ضعف مهما بدا قوياً في الظاهر. ويختم الإمام دعاءه بنداء يا أرحم الراحمين، ليُذكّر أن دفع الأذى والنصر على الأعداء ليس مظهراً لبطش، بل مظهرٌ لرحمة الله بعباده، وأن لطفه هو الذي يصنع النجاة ويمنع الشرّ ويجعل للإنسان مخرجاً مما يخاف. وهكذا يتجلّى هذا الدعاء مدرسة تربوية كاملة، تجمع بين الحماية الإلهية، والتسليم المطلق، واليقين بنصرة الله، فيوجه المؤمن نحو الاعتماد على القوة التي لا تُغلب، والاعتصام بالحول الذي لا ينفد.

إنه دعاء قوي وعملي؛لأنه يركّز على الوقاية قبل وقوع الشرويجمع بين:

الدعاء والتوكل والتسليم والاعتراف بالضعف وطلب القوة الإلهية

ويناسب كل من: يخاف من مكائد الناس ويخشى ظلماً أو يتعرّض لحسد أو يواجه مواقف صعبة أو يريد حفظه في عمله أو بيته. هذا الدعاء حصن، وسلاح، وطمأنينة.

دعاؤه عليه السلام على أعدائه

اللهم إني قد دعوت وأنذرت، وأمرت ونهيت، وكانوا عن إجابة الداعي غافلين، وعن نصرته قاعدين ، وعن طاعته مقصرين ، ولأعدائه ناصرين . اللهم فانزل عليهم رجزك وبأسك وعذابك ، الذي لا يرد عن القوم الظالمين .

يكشف هذا الدعاء للإمام الحسن عليه السلام عن بعدٍ مهم من أبعاد شخصية الإمام، وهو البعد المرتبط بموقف الحق أمام الباطل، ورفض الظلم حين يتمادى أهله ويتجاهلون كل نداء للإصلاح والهداية. فالإمام يصف بدقة حال القوم الذين واجهوه، فيقول:"قد دعوت وأنذرت، وأمرت ونهيت"، وهو بذلك يبين أن دعوته لم تكن مباغتة ولا قائمة على غضب أو انفعال، بل جاءت بعد استنفاد كل وسائل الهداية من دعوة ونصيحة وإنذار. ثم يصف حالهم بقوله: "وكانوا عن إجابة الداعي غافلين، وعن نصرته قاعدين، وعن طاعته مقصرين، ولأعدائه ناصرين"، وفي هذه العبارات تصوير بليغ لطبيعة القوم الذين حاربوا الحق: فهم لم يكتفوا بعدم الاستجابة له، بل قعدوا عن نصرته، وقصّروا في طاعته، وبلغ الأمر أن أصبحوا أنصاراً لأعداء الإمام، أي أن الانحراف بلغ ذروته حتى انقلب الحق في عيونهم باطلاً والباطل حقاً. وبعد أن يثبت الإمام هذا السياق الأخلاقي والشرعي، يلجأ إلى الله قائلاً: "اللهم فأنزل عليهم رجزك وبأسك وعذابك الذي لا يرد عن القوم الظالمين"، وهو دعاء يكشف أن الإمام لا يطلب انتقاماً شخصياً، بل يطلب عدالة إلهية تجاه قوم ظلموا أنفسهم وظلموا الناس ووقفوا في وجه الحق بعد قيام الحجة عليهم. وهذا الأسلوب شبيه بما ورد في أدعية الأنبياء حين دعا نوح على قومه بعد أن بلغ القنوط من هدايتهم مبلغاً: "رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً"، مما يدل على أن الدعاء على الأعداء ليس غاية في ذاته، وإنما يأتي بعد استنفاد كل سبل الإصلاح. وبهذا يتضح أن الدعاء يكشف عن توازن دقيق بين الرحمة والعدالة: فالرحمة في الدعوة المستمرة والإعذار والإنذار، والعدالة في الدعاء على الظالمين حين يصرّون على باطلهم ولا يتركون للحق سبيلاً. وهو دعاء يربّي المؤمن على الثبات في مواجهة الظلم، وعلى أن الله هو المؤيد والناصر، وأن بأسه لا يردّ عن قوم اختاروا الظلم سبيلاً والعداوة موقفاً.

فرسالة الدعاء الأساسية هي:

لا تيأس من الدعوة وخدمة الحق، ابذل جهدك، ثم ارفع أمرك إلى الله، وأن الخذلان من الناس لا يعني ضعف الحق، فالله لا يترك المظلوم وحده، وأن ظلم الظالم إن طال، فله نهاية، وأن دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب.

إنه دعاء من طرق باب الحق حتى تعب، ثم قال: يا رب، تولَّ أمري.

دعاؤه عليه السلام لدفع كيد العدو (لما أتى معاوية)

بسم الله الرحمن الرحيم ، بسم الله العظيم الأكبر، اللهم سبحانك يا قيوم ، سبحان الحي الذي لا يموت . أسألك كما أمسكت عن دانيال أفواه الأسد ، وهو في الجب ، فلا يستطيعون إليه سبيلا إلا بإذنك ، أسألك أن تمسك عني أمر هذا الرجل ، وكل عدوي في مشارق الأرض ومغاربها ، من الإنس والجن ، خذ بآذانهم وأسماعهم وأبصارهم ، وقلوبهم وجوارحهم . واكفني كيدهم بحول منك وقوة ، وكن لي جارا منهم ، ومن كل جبار عنيد ، ومن كل شيطان مريد لا يؤمن بيوم الحساب . إن وليي الله الذي نزل الكتاب ، وهو يتولى الصالحين ، فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو ، عليه توكلت ، وهو رب العرش العظيم .

يمثل هذا الدعاء المروي عن الإمام عليه السلام نموذجًا رفيعًا من نماذج التضرّع الصادق الذي يلجأ فيه المؤمن إلى ربّه عند اشتداد الخصومة واستعلاء الظلم، وفيه تظهر معاني العبودية الخالصة التي تتجلى في الاعتراف بقدرة الله المطلقة وهيمنته على الكون بأسره. يبدأ الدعاء بالتسبيح للحي القيوم، تأكيدًا على أن القوة كلها بيده، وأنه دائم لا يزول، بخلاف المخلوقات التي يطرأ عليها الضعف والافتقار. ثم يستحضر الداعي مشهدًا من قصص الأنبياء، حين أمسك الله تعالى أفواه الأسود عن دانيال عليه السلام في غياهب الجب، في إشارة عميقة إلى أن قدرة الله ليست مقيدة بزمن ولا مكان، وأن من حفظ نبيّه في جوف الخطر قادرٌ على أن يدفع كيد أعداء عباده المؤمنين مهما اشتدّت قوّتهم أو عظم سلطانهم. وتتنامى في الدعاء معاني التفويض الكامل لله، إذ يطلب الداعي أن يُقيّض الله له السمع والبصر والقوة، وأن يُبعد عنه شرّ كل عدو من الإنس والجن، وأن يكون سبحانه جاره وحصنه وملاذه من كل جبّار متسلّط ومن كل شيطان مريد لا يخشى الحساب.

وتزداد روح الطمأنينة في ختام الدعاء، حيث يؤكد الداعي على أن ولايته لله وحده، وأن الله هو الذي تولّى إنزال الكتاب وهو الذي يتولى الصالحين، فلا ملجأ إلا إليه ولا نصير أعظم منه. ثم يختم بهذا الإعلان العظيم للتوكل: "حسبي الله لا إله إلا هو، عليه توكلت وهو رب العرش العظيم"، وهي جملة تجمع بين ثقة الموقن وطمأنينة المتوكل وتسليم الخاشع، لتجعل هذا الدعاء مساحة روحانية يتجدد فيها اليقين بقرب الله وقدرته، ويلجأ إليها كل من ضاق صدره بظلم عدو أو خاف من بطشه، فيجد فيها السكينة والحماية والأنس برحمة الله الواسعة التي لا يحدّها حد.

دعاؤه عليه السلام على زياد بن أبيه

اللهم خذ لنا ولشيعتنا من زياد بن أبيه ، وأرنا فيه نكالا عاجلا ، إنك على كل شى قدير.

يمثّل هذا الدعاء المروي عن الإمام عليه السلام تعبيرًا عميقًا عن حالة المظلومية التي عاشها هو وشيعته في زمنٍ كثرت فيه الفتن وتنوّعت أشكال الظلم السياسي والاجتماعي. فهو دعاء يعبّر عن لجوء المضطهد إلى ربه حين تُغلق أمامه أبواب العدل الأرضي، فيرفع حاجته إلى العدل الإلهي الذي لا يضل ولا ينسى. وفيه يظهر إيمانٌ راسخ بأن الله سبحانه هو الملجأ عند اشتداد الظلم، وهو الذي يقتصّ للمظلومين بقدرته وعدله، دون أن يظلم أحدًا أو يتجاوز حدّ الحكمة.

ويُلاحظ في الدعاء أن الإمام لا يتوجّه بالدعاء انتقامًا شخصيًا، بل يربط الأمر بحقّ الأمة وحقّ شيعته الذين وقع عليهم الأذى، مبيّنًا أن دعاء المظلوم إنما ينطلق من ألم الجماعة وضعفها، لا من نزاع فردي. وهو بذلك يعبّر عن أن قيادة الحق تحمل مسؤولية حماية أتباعها والدفاع عنهم ورفع الظلم عن المستضعفين، ولو بالدعاء إن عجزت الوسائل الأخرى.

كما نرى في ختام الدعاء استحضارًا لصفة الله "القدير" التي تؤكد قدرة الله على تغيير الأحوال وإقامة العدل ورفع الظلم كيفما يشاء ومتى يشاء. فهو دعاء يذكّر المؤمن أن الله يرى ويسمع، وأن الظلم مهما طال فله نهاية، وأن العاقبة عند الله لا تضيع، وأن المظلوم يستطيع أن يجد في الدعاء قوة، وسكينة، وإحساسًا بأن عدالة السماء لا تغيب وإن غابت عدالة الأرض.

وبذلك يصبح هذا الدعاء ليس مجرد طلب للعقاب، بل رسالة أعمق بأن المظلوم إذا التجأ إلى الله فقد أوى إلى ركن شديد، وأن ظلمات التاريخ مهما تراكمت فإن نور العدل الإلهي باقٍ لا ينطفئ.

ما الذي نتعلمه من روح هذا الدعاء؟

أن المظلوم لا ينسى حقه، لكنه يرفعه إلى الله. وأن الظلم مهما قويّ أصحابه فهو مؤقت. وأن المؤمن لا يطلب الأذى للآخرين إلا إذا كانوا ظالمين مؤذين للناس والدين. وأن الله يتولى الدفاع عن عباده حين تتعطّل الأسباب.

هذا الدعاء يعبّر عن قلب موجوع ولكنه لا يلجأ للعنف، بل يرفع أمره إلى السماء.

دعاؤه عليه السلام لدفع شر الجار

شكى رجل إلى الحسن بن علي عليهما السلام جارا يؤذيه ، فقال له الحسن عليه السلام : إذا صليت المغرب ، فصل ركعتين ، ثم قل : يا شديد المحال يا عزيز ، أذللت بعزتك جميع ما خلقت ، اكفني شر فلان بما شئت . وفي رواية : يا شديد القوى ، يا شديد المحال يا عزيز ، أذللت بعزتك جميع من خلقت ، صل على محمد وآل محمد ، واكفني مؤونة فلان بما شئت .

يمثّل هذا الدعاء المروي عن الإمام الحسن عليه السلام أحد النماذج الراقية التي تُظهر منهج أهل البيت في معالجة ضيق النفس، ورفع الأذى، والتوجّه إلى الله عند مواجهة الابتلاءات الاجتماعية، وفي مقدمتها أذى الجار. فالجار. من حيث المبدأ. موقعه في الإسلام موقع تعظيم وتقديس، وقد أوصى به النبي صلى الله عليه وآله مرارًا، حتى ظنّ الناس أنه سيُورّثه. لذلك، فإن هذا الدعاء يأتي ليجسّد نظرة الإسلام إلى أن حلّ المشكلات الاجتماعية يبدأ أولًا من التوجّه إلى الله وتزكية النفس، لا من ردّ الأذى بمثله أو إشعال فتنة جديدة.

ويلاحظ في بنية الدعاء أنه يبتدئ بالتوجّه إلى الله بصفاته الجلالية: "يا شديد المحال، يا عزيز" وهي صفات تعبّر عن قوة الله وهيمنته على خلقه، وقدرته على ردّ الظلم، وتفريج الكرب، وصيانة المُبتلى. وفي هذا التقديم معنى عميق: أن العبد حين يستشعر عظمة الله، يزول من قلبه الخوف من الناس، ولا يبقى فيه إلا الاعتماد على القوة التي لا تُقهر ولا تُغلب.

ثم يتضمن الدعاء اعترافًا صريحًا بقدرة الله الشاملة: "أذللت بعزتك جميع من خلقت"، وفي هذه العبارة استعاذة رقيقة تحرّر ضمير الإنسان من الشعور بالعجز أو المهانة، لأنها تذكّره بأن كل قوة خاضعة لإرادة الله، وأن حتى أقرب الناس إليه ـ كالجار ـ لا يستطيع أن يضرّه بشيء إلا بقدر ما يأذن الله.

وتأتي خاتمة الدعاء بطلب متواضع لكنه واسع الدلالة: "اكفني شر فلان بما شئت"، وهو من أرقى صور التوكل، إذ يترك العبدُ تفاصيل التدبير لله، فلا يحدد طريقة ولا يستعجل نتيجة، إنما يسلم أمره لمن يعلم ظاهر الأمور وباطنها. وهذا التأدب مع الله تعالى يعلّم الإنسان كيف يطلب رفع الأذى من غير تجاوز، وكيف يُسكّن غضبه ويُهذّب نفسه، ويطلب السلام لا الثأر، والحل لا التصعيد.

كما أن التوجيه إلى صلاة الركعتين بعد صلاة المغرب يضفي على الدعاء بعدًا تعبديًا، يربط بين تهدئة الروح وطلب رفع البلاء؛ فالصلاة تُلين القلب، وتُطفئ الغضب، وتفتح للعبد باب الرضا والسكينة، مما يساعده على تحمل البلاء

بصبر وحكمة. وفي ذلك تقاطع مع المفهوم القرآني في قوله تعالى (واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على المؤمنين)

وفي المجموع، يعكس هذا الدعاء رؤية عميقة تُعلّم الإنسان كيف يواجه الأذى الاجتماعي بالروح قبل القوة، وبالدعاء قبل الخصومة، وبالتسليم لله قبل التدبير الذاتي. وهو دعاء يفتح باب الرجاء لكل من ضاق بجار أو قريب أو زميل، ويذكّره أن الله أقرب إليه من كل أحد، وأنه قادر على أن يجعل من الضيق فرجًا، ومن الأذى سلامًا، ومن الاضطراب طمأنينة لا تزول.

كما تجدر الإشارة إلى أن هذا الدعاء ليس دعاء انتقام، بل دعاء حماية، والفرق كبير: حيث لا يطلب الإمام الحسن عليه السلام إذلال الجار ولا الانتقام منه ولا نزول البلاء عليه، إنما يطلب فقط: الكفاية، أي أن يُرفع الشر عن الإنسان، بأي وسيلة يراها الله رحيمة وحكيمة.

فالدعاء ليس ضد الجار... بل ضد الشرّ الذي يخرج منه.

وقراءة هذا الدعاء تكون عند وجود جار مؤذٍ أو مزعج أو جار يتعدّى بلسانه أو أفعاله أو شخص قريب أو زميل يسبب أذى مستمرًا أو أي شخص يصعب التعامل معه وشره ملازم.

هذا الدعاء يجلب: السكينة، والطمأنينة، والتخفيف، وانصراف الشر بغير مواجهة ولا خصومة؛ لأنه يعتمد على القوة الإلهية، لا حلول البشر.

دعاؤه عليه السلام في العوذة لوجع الرجل

عن الباقر عليه السلام : قال : كنت عند الحسين بن علي عليهما السلام إذ أتاه رجل من بني أمية من شيعتنا ، فقال له: يا ابن رسول الله ما قدرت أن أمشي إليك من وجع رجلي ، قال : فأين أنت من عوذة الحسن بن علي عليهما السلام ؟ قال : يا بن رسول الله وما ذاك ؟ قال : إنا فتحنا لك فتحا مبينا ، ليغفر لك الله - إلى قوله : - وكان الله عزيزا حكيما.

دعاؤه عليه السلام في العوذة لإصابة العين

عن الحسن عليه السلام : أن دواء الإصابة بالعين أن يقرأ : (وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون وما هو إلا ذكر للعالمين) .

دعاؤه عليه السلام في الاستعاذة

اللهم إني أعوذ بك من قلب يعرف ، ولسان يصف ، وأعمال تخالف .

يمثل هذا الدعاء القصير في ألفاظه، العميق في معانيه، إحدى أرقى صور الاستعاذة التي يعلّمها الإمام عليه السلام للمؤمن ليقي قلبه ولسانه وعمله من أخطر أشكال الانحراف الأخلاقي والروحي. فهو دعاء يضع الإنسان أمام مرآة نفسه، ويدعوه إلى محاسبة دقيقة تتجاوز ظاهر السلوك إلى باطنه، وتكشف مدى صدق الإنسان مع ربه أولًا، ثم مع ذاته ثانيًا.

تبدأ العبارة بقول الداعي: "اللهم إني أعوذ بك من قلب يعرف"، في إشارة إلى أخطر أنواع القلوب؛ تلك التي تملك المعرفة ولكنها لا تُثمر خشوعًا ولا هداية، بل تبقى معرفةً جافةً لا تتجاوز حدود الفكر إلى عمق الإيمان. فالقلب الذي يعرف الحق ولا يتحرك نحوه هو قلب محجوب، يشبه الأرض التي يُصبّ عليها المطر فلا تُنبت. ولهذا كان الخوف من هذا النوع من القلوب خوفًا من القسوة والغرور والغفلة، لأن المعرفة إذا لم تُثمر عملاً تحولت إلى حجة على صاحبها لا له.

ثم ينتقل الدعاء إلى الخطر الثاني: "ولسان يصف"، أي لسان يجيد الكلام، ويتقن وصف الفضائل، وربما يعظ الآخرين، لكنه لا يعكس حقيقة صاحبه. فالإنسان قد يتحدث عن الصدق والإخلاص والعدل، وهو بعيد عن تلك المعاني في باطنه أو سلوكه. وهذا التعارض بين اللسان والقلب يشكّل أحد أخطر مصائد النفس؛ لأن اللسان قد يوحي للإنسان بأنه قريب من الله، بينما أعماله تقول عكس ذلك. ومن هنا جاء الاستعاذة: حتى لا يكون الإنسان جميل القول، فقير العمل.

أما الخطر الثالث، والأشد وقعًا: "وأعمال تخالف"؛ أي أعمال لا تنسجم مع المعرفة ولا مع القول. وهنا تبلغ المفارقة ذروتها؛ إذ يجتمع العلم والبيان، ولكن تغيب الطاعة. وهذا النوع من الانفصال بين الفكر والسلوك هو الذي أوقع الكثيرين في الهلاك الروحي، لأن الله لا ينظر إلى كثرة الكلام، بل إلى صدقه، ولا ينظر إلى المعرفة وحدها، بل إلى ما يتبعها من التزام وخشية.

وبهذا يجمع الدعاء بين ثلاثة أركان للصدق الروحي:

القلب / اللسان / العمل

ويجعلها في ميزان واحد، ليعلّم المؤمن أن حقيقته لا تُعرف بما يفكر به فحسب، ولا بما يقول، بل بما يعمل. وهو دعاء يزرع في النفس خشية من الرياء والازدواجية، ويعلّم الإنسان أن يطلب من الله دائمًا أن يكون باطنه خيرًا من ظاهره، وأن تكون أعماله شاهدة على صدق معرفته. لذلك طلب الداعي الحماية من العمل المخالف؛ لأن العمل هو الحقيقة التي تقف أمام الله.

دعاؤه عليه السلام عند التزام الركن

روي أن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام التزم الركن ، فقال: إلهي أنعمت علي فلم تجدني شاكرا ، وابتليتني فلم تجدني صابرا ، فلا أنت سلبت النعمة بترك الشكر ، ولا أنت أدمت الشدة بترك الصبر ، إلهي ما يكون من الكريم إلا الكرم .

يمثل هذا الدعاء الذي رُوي عن الإمام الحسن بن علي عليهما السلام عند التزامه بالركن لحظةً عالية من لحظات الخشوع الصادق والاعتراف العميق أمام عظمة الله، إذ يكشف فيه الإمام عن قمة التواضع الروحي، ويضع الإنسان أمام حقيقة علاقته بربه، بعيدًا عن مظاهر الغرور أو الادعاء. يبدأ الدعاء بعبارة تحمل مزيجًا من الاعتراف والأدب:

"إلهي أنعمت علي فلم تجدني شاكرا"، وفي هذه الكلمات يقرّ الإمام بأن النعمة وحدها ليست كافية، بل إن شكرها هو الذي يرفع شأن الإنسان ويقرّبه من الله. وهذا الاعتراف لا يعني إنكار فضائله، وإنما هو من باب التواضع الذي يليق بأولياء الله حين يقفون بين يديه، فيظهرون النقص باعتبار أن نعم الله أعظم من أن يوفّى شكرها.

ثم ينتقل إلى مقابِل آخر من مقامات العبودية:

"وابتليتني فلم تجدني صابرا"، ليُبيّن أن الإنسان مهما بلغ من الإيمان، يبقى معرضًا للضعف البشري، وأن الصبر مقام عظيم لا يدّعيه إلا من اختبره. فهو يُقرّ بأن البلاء كشف له حدود صبره، وأن ما يطلبه من الله ليس عظمة الصبر بل رحمة الله الواسعة.

وبين النعمة والابتلاء تتجلّى رحمة الله بأوضح صورها، إذ يقول:

"فلا أنت سلبت النعمة بترك الشكر، ولا أنت أدمت الشدة بترك الصبر"

وهي جملة تبعث في القلب طمأنينة كبيرة، لأنها تشير إلى أن الله لا يعامل عباده بالعدل المحض فقط، بل يعاملهم بالفضل. فمع ترك الشكر لم تُسلب النعمة، ومع نقص الصبر لم تطُل الشدة، بل بقيت رحمة الله تظلل العبد، وتُمهله، وتلطف به، وتفتح له باب العودة.

ثم يختم الإمام دعاءه بخلاصة روحية عظيمة:

"إلهي ما يكون من الكريم إلا الكرم"

فهي جملة تختصر رؤية متكاملة لله سبحانه، رؤية مبنية على حبّ وثقة ويقين، لا على خوف مجرد. فهو يتوجه إلى الله بصفة الكرم، لا لأنه محتاج فقط، بل لأنه يعلم أن الكرم هو سجية الرب الكريم، وأن العودة إلى الله مهما كانت النفس مثقلة بتقصيرها، فإنها تجد كرمًا لا ينضب، وعفوًا لا يحد، ورحابة لا تضيق بأحد.

إن هذا الدعاء يعلّم الإنسان أن الطريق إلى الله ليس طريقًا مثاليًا يخلو من التقصير، بل طريقٌ تُرافقه العثرات، لكن ما يجعل العبد قريبًا هو الاعتراف بالقصور، والشعور بالتقصير، وصدق اللجوء إلى الله. ويصبح الدعاء بذلك مدرسة أخلاقية وروحية تُربي النفس على التواضع، والرجوع إلى الله، والإحساس الدائم بأن العبد مهما عمل فلن يوفي حقّ ربّه، وأن الله مع ذلك كريم رحيم يقبل التائب، ويُعين الضعيف، ويغفر الزلل مهما عظم.

دعاؤه عليه السلام إذا أفطر

عن الكاظم ، عن أبيه ، عن جده ، عن الحسن بن علي عليهم السلام : أن لكل صائم عند فطوره دعوة مستجابة ، فإذا كان أول لقمة فقل : بسم الله ، يا واسع المغفرة اغفر لي . وفي رواية أخرى : بسم الله الرحمن الرحيم ، يا واسع المغفرة اغفر لي . فإنه من قالها عند افطاره غفر له .

يُظهر هذا الدعاء المروي عن الإمام الحسن عليه السلام جمال التربية الروحية التي يغرسها أهل البيت في نفوس المؤمنين؛ فالصائم حين يمدّ يده إلى أول لقمة عند الإفطار يكون في لحظة صفاءٍ تتجلى فيها آثار الطاعة، فيدعوه الإمام إلى أن يفتتح فطوره بذكر الله والاعتراف بسعة رحمته، قائلاً: «بسم الله، يا واسع المغفرة اغفر لي». إن هذه الكلمات القليلة تحمل معاني كبيرة؛ فهي تذكير بأن نعمة الطعام لا تنسينا نعمة المغفرة، وأن الجسد وإن كان ينتظر غذاءه بعد ساعات الصيام، فإن الروح أولى بأن تتغذّى من باب الرحمة الإلهية. كما يلفت الدعاء إلى أن لحظة الإفطار ليست مجرد نهاية للجوع، بل هي لحظة قبول وقرب، جعلها الله موضع استجابة للدعاء، فيَفتح بها الصائم بابًا من الرجاء، ويستشعر عناية الله التي تتلقّى عمله المتواضع بمغفرة واسعة تشمل يومه كلّه. بهذه الكلمات يتحوّل الإفطار من عادة يومية إلى محطة تربية، ومن فعل جسدي إلى شعورٍ بالسكينة والرضا والقرب من الله تعالى.

دعاؤه عليه السلام إذا هنأه بمولود

روى أنه ولد للحسن بن علي عليهما السلام مولود ، فأتته قريش فقالوا : يهنئك الفارس ، فقال عليه السلام : وما هذا من الكلام ، فقولوا : شكرت الواهب ، وبورك لك في الموهوب ، وبلغ الله به أشده ، ورزقك بره .

يقدّم هذا الموقف المروي عن الإمام الحسن عليه السلام درسًا رفيعًا في تهذيب الألفاظ وتوجيه القلوب نحو المعاني الأسمى. فعندما جاءته قريش مهنّئةً بمولوده وقالوا: "يهنّئك الفارس"، لم يُعجب الإمام بهذا الأسلوب الذي يميل إلى المدح الدنيوي والمظاهر الاجتماعية المرتبطة بالقوة والفروسية، فنبّههم إلى ما ينبغي أن يقال، ودلّهم على كلماتٍ جامعةٍ تجمع شكر الله والدعاء بالبركة وحسن العاقبة، فقال:

"قولوا: شكرتَ الواهب، وبورِك لك في الموهوب، وبلغ الله به أشدَّه، ورزقك برَّه".

في هذه الكلمات القصيرة تتجلى مجموعة من القيم الروحية والتربوية أبرزها:

- توجيه القلوب إلى الله قبل أي شيء، فالمولود ليس "فارسًا" يُهنّأ لأجل قوته المستقبلية، بل هو موهبة من الله تستحق الشكر.
- البعد عن المبالغة في التهنئة، واستبدالها بدعاء يحمل الخير الواقعي للوالدين وللمولود.
- تذكيرٌ بأن البركة ليست في كثرة الأولاد، بل في برّهم وصلاحهم، فختم الإمام الدعاء بأعظم ما يرجوه الأبوان: "ورزقك برَّه".
- التربية على الكلمات الهادفة، فالإمام لم يرفض التهنئة، بل صوّبها، معلّمًا الناس أن الكلام نعمة ينبغي اختيار ألفاظها بعناية ووعي.

بهذا التوجيه الراقي، يحوّل الإمام الحسن عليه السلام لحظة اجتماعية بسيطة إلى فرصة تعليمية تُعيد القيم إلى نصابها، وتغرس في النفوس أدب الشكر، وحقيقة النعمة، وغاية الدعاء.

دعاؤه عليه السلام عند احتضاره

لطلب الرحمة من الله تعالى عن رؤبة بن مصقلة قال : لما نزل بالحسن عليه السلام الموت قال : أخرجوا فراشي إلى صحن الدار ، فأخرجوه ، فرفع رأسه إلى السماء وقال : اللهم إني أحتسب عندك نفسي ، فإنها أعز الأنفس علي، لم أصب بمثلها . اللهم ارحم صرعتي ، وآنس في القبر وحدتي .

يمثل هذا الدعاء آخر ما صدر عن قلبٍ طاهرٍ عرف الله حق معرفته، وعاش عمره بين الصبر والبذل والموعظة. وعندما نزل به الموت، لم يكن الإمام الحسن عليه السلام ينشغل بالألم أو الحزن بقدر ما كان منشغلاً باللقاء. يطلب أن يُخرج فراشه إلى صحن الدار ليرى السماء، وكأنه يريد أن يستقبل رحلته الأخيرة بقلبٍ مفتوحٍ على أفق الرحمة الإلهية.

ثم يرفع رأسه إلى السماء ويقول:

"اللهم إني أحتسب عندك نفسي، فإنها أعز الأنفس علي، لم أُصَب بمثلها"،

وهذه الكلمات تحمل معاني جليلة؛ فهو يسلّم روحه إلى الله كما يسلّم الصابر مصيبته، معلنًا أنّ أغلى ما يملك ـ نفسه الطاهرة ـ إنما يقدّمها بين يدي الله راضيًا محتسبًا.

ثم يقول:

"اللهم ارحم صرعتي، وأنس في القبر وحدتي"،

وهذا دعاء يفيض صدقًا وعمقًا؛ فهو يعلّم المؤمن أن أشدّ لحظات الإنسان حاجةً إلى الرحمة ليست الدنيا وحدها، بل لحظة السقوط على الأرض مفارقًا الحياة، ولحظة الانفراد في القبر بعيدًا عن الأهل والأصحاب. فيطلب الرحمة عند الصرعة، والأنس عند الوحدة، وكأنّه يرسم للإنسان خارطة الطريق الروحية لما يحتاجه في آخرته: رحمة عند الخروج من الدنيا، وأنس عند الدخول في البرزخ.

إنه دعاء يكشف مقام التوحيد الذي بلغ إليه الإمام الحسن عليه السلام؛ مقام التسليم، واليقين، والصدق مع النفس، والارتباط الكامل بالله في أشد لحظات الضعف البشري.

الخاتمة

وبعد هذه الإطلالة الموجزة بين أدعية الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، تتجلّى لنا الصورة المشرقة للإمامة في بعدها الروحي والإنساني والعبادي؛ فهذه الأدعية ليست مجرد كلمات تُقرأ، بل هي مدرسةٌ تهذّب النفس، وتفتح البصيرة، وتُقرّب العبد من ربّه بوعيٍ وبصيرة. لقد كشف لنا الإمام الحسن عليه السلام من خلال دعائه أن الإمامة ليست منصباً ظاهرًا فحسب، بل هي مقامٌ ربّاني تتجلى فيه المعرفة بالله، والرحمة بالخلق، والحكمة في التربية، والقدرة على الارتقاء بالإنسان نحو مراتب الكمال. ومن خلال هذه النماذج الرفيعة من أدعيته، تتبين الخصائص العظمى لأهل العصمة عليهم السلام؛ فهم أساتذة الدعاء، ومفاتيح الرحمة، وأبواب معرفة الله، ومنهم نتعلم كيف نناجي، وكيف نطلب، وكيف نعود إلى الله في كل حال. فهم الراسخون في العلم، والدعاء علم من الله جل وعلا.

إن أدعية الإمام الحسن عليه السلام تكشف عن قلبٍ ممتلئ بمحبة الله، وعقلٍ راسخ في العلم، وروحٍ سامية لا تنفصل عن الحق مهما تغيّرت الظروف. فسواء كان دعاؤه في الشدة أو الرخاء، في المرض أو العافية، في لحظات القوة أو عند الاحتضار، فإن كلماته تظل نبعاً من نور يروي القلوب، ويهدي السائرين، ويعلّم المؤمنين كيف تكون العلاقة بالله على منهج أهل البيت الذين جعلهم الله حججه على خلقه.

وبذلك فإن دراسة أدعية الإمام الحسن عليه السلام ليست بحثاً في نصوص دعائية فحسب، بل هي قراءة في عمق الإمامة، واستجلاء لسرّها، وفهم لمقامها الذي اختصّه الله لأوليائه. وهذه الإشراقات الحسنية تظل شاهدةً على أن الدعاء، في مدرسة أهل البيت، ليس عبادة فردية فقط، بل هو سبيلُ هداية، ومنهاجُ تربية، وجسرٌ ممتد بين الأرض والسماء.

نسأل الله تعالى أن يرزقنا التوفيق للاقتداء بهم، وأن يجعل دعاءهم نوراً لقلوبنا، وهدياً لخطواتنا، وسببًا لقربنا منه، إنه سميع مجيب.